

تاريخ القبول: 2025/06/03

تاريخ الإرسال: 2025/01/30

تمثيل الإفريقي وترجمته في رواية "إضراب الشحاذين" (La Grève des bàttu) لأميناتا سُو فال

(Aminata Sow Fall)

Representation and translation of African in the novel

“La Grève des bàttu ou Les Déchets humains” by Aminata Sow Fall

حسينة فلاح¹ ، عزيز نعمان²

¹جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)،

hassina.fellah@ummtto.dz

²جامعة مولود معمري، تيزي وزو (الجزائر)،

aziz.namane@ummtto.dz

الملخص:

يبحث هذا المقال في مظاهر التنوع الثقافي في رواية الأديبة السنغالية أميناتا سُو فال (Aminata Sow Fall) الغانية، المعنونة بـ (La Grève des bàttu ou Les Déchets humains) (1979)، المترجمة إلى العديد من اللغات، بما في ذلك اللغة العربية سنة 2011، تحت عنوان "إضراب الشحاذين"، على يد الأديب والمترجم التونسي جمال الجلاصي. وحيال هذا النص المترجم يفرض سؤال الترجمة نفسه، ويدعونا إلى معرفة كيفية تعامل المترجم مع مظاهر التنوع اللغوي والثقافي، ومع مضمرات خطاب الهيمنة والتهميش ووضع الفساد، لاسيما أن بيتي المترجم والمبدعة وثقافتهما إفريقيتان. وتفيد دراسة تمظهرات الراهن الثقافي الإفريقي في الإبداع الإفريقي في معرفة محددات الفعل الترجمي وموجهاته وأولوياته في رحاب مدونة روائية مشتركة من حيث مرجعيات كتابتها وتلقيها.

الكلمات المفتاحية: ترجمة- ثقافة- راهن- إفريقي- مشترك إنساني.

Abstract :

This article examines aspects of cultural diversity in the second novel by the Senegalese writer Aminata Sow Fall, entitled «Beggars' Strike or Human Waste» (La Grève des bàttu ou Les Déchets humains) (1979), which translated into several languages, including Arabic in 2011, by the tunisian writer and translator Jamel Jelassi. In the face of this translated text, the question of translation arises, and invites us to know how the Arabic translator reacted to aspects of linguistic and cultural plurality, as well as to the implicit discourse of domination, marginalization and corruption, especially since the translator and the writer are of African origin and culture. The study of the manifestations of the African cultural present in African literary creation aims to know the determinants of the translative act and its priorities, within a common novelistic corpus in terms of the references of its writing and its reception.

Keywords : Translation- culture- present- African- common humanity.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

ارتبط الأدب الإفريقي بحياة المجتمعات الإفريقية وتفصيل واقعها الذي لا يتحدد بمعزل عن المرجعيات الثقافية، وترسبات التاريخ، ومفرزات المجتمع والسياسة، ولا يفتأ يشهد التحول والتقلب، ويستمد مادته من راهن متداع وماض محمل بالأعباء، فكما يستطيع الأديب صياغة الأفكار وإنتاجها ونشرها، بمقدوره أيضا تغيير الرؤى وتمثيل الوجود والموجود تمثيلا بديلا مغايرا في رحاب الإبداع الذي لا تتعارض فيه قيم الالتزام فكرا وجمالا. فالأدب، باعتباره ترجمة للحياة والإنسان، يتأسس على لعبة تمثلات كثيرة، تتداخل فيها مناحي الوجود وتتفاوت، وتلقى تجاوبا، بالقبول أو الرفض، لدى القراء الذين يترجمون بدورهم الأفكار إلى أخرى، ويسهمون في ذبوع صيظ العمل الأدبي وفتح أبواب الترجمة الحقة أمامه، ما يسهم في رواجه وعالميته.

استرعى أدب السود الإفريقي اهتمام المترجمين، فترجمت منه أعمال أدبية إلى لغات العالم المختلفة، وكُتِبَ لأفكارها وقولها الارتحال إلى ثقافات أخرى، وأصبحت ثقافة الزنجي ووضع الوجودي ومعالم بيئته معروفة لدى الآخر المختلف؛ والثقافة باعتبارها مادة فكرية إنسانية مشتركة بين الأدب والترجمة، تتأرجح بين النسبية والعالمية، تتفاعل مع الجمالي والإنساني، لتبلغ بالترجمة الأدبية غايتها، وتمنح النص الأصلي حظوظه من الجودة والتلقي السلس في اللغة المضيفة.

تعد أعمال الأديبة السنغالية أميناتا سو فال (Aminata Sow Fall) من الأعمال المترجمة عالميا، فقد نُقلت رواياتها الثمانية إلى ما يزيد عن عشر لغات، وأصبحت نصوصها متداولة في البرامج التعليمية في عديد البلدان، ما منحها شهرة واسعة النطاق، وكانت البداية الفعلية لتلك الشهرة من روايتها الثانية (La Grève des bâttu ou Les Déchets humains) (1979)، التي نالت - سنة واحدة فقط بعد صدورها - الجائزة الأدبية الكبرى لإفريقيا السوداء، واقتبسها المخرج المالي شيخ أومار سيسوكو (Cheick Oumar Sissoko) للسينما سنة 2000، كما حظيت سنة 2011، فضلا عن نقلها إلى لغات كثيرة، بمكانتها المستحقة في المكتبة العربية، تحت عنوان "إضراب الشحاذين"، بفضل الأديب والمترجم التونسي جمال الجلاصي .

بين تداخل اللغة الفرنسية ولغة الوُولُوف (wolof) المحلية الإفريقية في المتن الروائي؛ وحضور عناصر الثقافة الشفوية؛ وبروز مشاهد وشخص من الواقع والمجتمع الإفريقيين؛ وطفو العنصر الديني ممثلا في موضوع الصدقة وصيغ التعامل اليومي؛ وتمثيل المهمش والمنبوذ مجسدا في شخصية الشحاذ وظاهرة التسول؛ وتحلي ثنائيات الفقر/ الغنى، السيادة/ العبودية، الظلم/ العدل، الملازمة للوضع الإنساني الإفريقي خاصة والعالمي عامة ماضيا وحاضرا؛ وتوظيف الأسلوب الساخر توظيفا يُدرج السرد ضمن جماليات الكتابة التفكيكية، فبين هذه الآليات والمظاهر والسمات كلها، التي يعاينها القارئ في الرواية؛ يفرض سؤال الترجمة نفسه، باعتبار الترجمة رسالة معرفية ثقافية إبداعية يؤديها المترجم بأمانة وفنية ونسبية، يراعي فيها الخاص والعام والمشارك الإنساني، يحدد فيها الأولويات ويرتبها ويفاضل بينها، كأولوية اللغة الأم، والتعدد اللغوي، والخصوصية الثقافية، والتجربة الإنسانية، وتزداد خصوصية الفعل الترجمي مع نص روائي يمثل هوية الإفريقي والتصدعات المنجرة عنها بين الأمس واليوم، باعتبار الراهن وليد توترات الماضي الاحتلالي، ومحصلة المد الأمبريالي، والعولمي في أيامنا.

فهل وُفق إفريقي في ترجمة وإعادة صياغة أفكار ورؤى وقناعات إفريقي آخر، ما أكثر ما يجمعها، ماضي أمحكه الاعتداء الكولونيالي، وراهن إفريقي متداع؟

وفي سياق متصل، تقوم عملية التمثيل، في النص الروائي المصدر، على رسم هوية الإفريقي، وإبراز ملامح التصدع الواقع فيها وبها، أمسا وحاضرا، وتبعات الماضي الاحتلالي والأمبريالية والعولمة على راهن البيئة الإفريقية. فهل راعي المترجم الخطاب المضمّر المدرج/ المتغلغل في سطوح الرواية المصدر وأعماقها، إذا ما أخذنا بعين الحسبان معطى انتماء الروائية والمترجم، على حد سواء، إلى إفريقيا، وتقاسمهما معالم بيئتها الثقافية؟

كذلك يجدر التساؤل عن شكل الترجمة الغالب على النص الهدف، المناسب لنقل الخصوصية (الهوية) الثقافية، فبين التمرکز العرقي، والتكافؤ الدينامي، تتراءى معالم الفعل الترجمي، التي من شأنها إظهار أوجه التناقض في إفريقيا المعاصرة، عبر راهن متداع وثيق الصلة بالواقع الإفريقي وبمخلفات سيطرة/ هيمنة الآخر المحتل، ولعل هذا الوعي المشترك بين مبدع ومترجم إفريقيين، تجمعهما أمور شتى، من بين ما يدعو إلى البحث في آلية الترجمة الثقافية، والتكليف الثقافي، باعتبارها أداة عملية في ترجمة الأفكار والرؤى والقناعات؟ وتكمن أهمية دراسة تظاهرات الراهن الثقافي الإفريقي في الإبداع الروائي الإفريقي المعاصر، في محاولة الكشف عن خصوصيات الفعل الترجمي وموجهاته وأولوياته، وتبيان نصيب الثقافي والواقعي منه، عبر مدونة روائية يتقاسم مبدعها ومترجمها، في النصين الفرنسي والعربي، مرجعيات كتابتها وتلقيها.

2. الترجمة الثقافية للراهن

1.2 الصيغة الإفريقية/ الثقافية للعنوان:

تقترن الترجمة في جوهرها بالثقافة، تلازمها وتلتزم بها، بل هي فعل ثقافي غايته إبراز الهوية الثقافية لشعب من الشعوب، والحفاظ عليها وصيانتها من الإقصاء، والتنوع الثقافي خاصية إنسانية بامتياز، والترجمة رافد يسهم في تجسيد ذلك التنوع، وتكريس مبدأ الحوار مع الآخر المختلف، وتحقيق تنمية ثقافية مستدامة، ومواكبة الحركة الثقافية العالمية بشتى تظاهراتها، وكما أن الترجمة رافد ثقافي حضاري، فإن الأدب أيضا رافد فني ثقافي زاخر بالقيم الجمالية والإنسانية، يوجد في رحابه الأدباء بتجارهم ويصوغون رؤاهم، ويرفعون الستار عن التهميش والعزلة وكل ألوان الهيمنة التي تظال مجتمعاتهم وأبناء جلدتهم، وكذلك لا يتوانى الأديب الإفريقي، على اعتبار ما عاشته المجتمعات الإفريقية ماضيا وما تقاسيه حاضرا، في "إظهار النية الواضحة في المطالبة بالوجود بوصفه جمالية" (ترجمتنا) (Mpoyi-Buatu, 1985, 45)، وهو ما يضيف على أدبه صبغة إنسانية جمالية، فما من عامل يفتح أبواب العالمية أمام العمل الإبداعي، أقوى وأؤكد من نشدان الجمال في كل شيء، وجعله سلاح نضال ووجهة تغيير وإصلاح.

إن الرواية الإفريقية، بحكم رحابة فضاءاتها وطول نفسها، من أكثر الأشكال الأدبية صياغة للوجود الإفريقي، بتعقيداته وتصدعاته، ومن أشدها حرصا على أمانة التمثيل وفاعليته، فيرى مولود معمري، في مقال له حول الأدب الإفريقي

الفرانكوفوني، أن "عددا معينا من الروايات يتتبع الواقع الإفريقي مثلما يراه الإفريقي من الداخل (...). وهذه الأعمال تسعى لأن تكون، في آن، تصورا أميناً، وإعادة للاعتبار" (ترجمتنا) (Mammeri, 1991, 54)، فالالتزام بتمثيل الذات والظفر باعتراف الآخر، مطلبان حيويان لا سبيل لفصلهما في رسالة أدبية ثقافية، جوهرها الجمال والوجود.

تشكل الذات موضوعا بارزا في رواية "La Grève des bâttu"، فهي تمثل المجتمع السنغالي الإفريقي، تلامس واقعه وتساؤل رهنه، فتضع في الواجهة الأمامية فئة المهمشين والمنبوذين مجسدة في شخصية الشحاذين، وتعالج ظاهرة التسول بأسلوب ساخر، فترسم أمام القارئ ثنائيات الفقر/ الغنى، السيادة/ العبودية، الظلم/ العدل، الممثلة للذات الإفريقية والملازمة للوضع الإنساني الإفريقي خاصة، والعالمي عامة، ماضيا وحاضرا، ويتجلى الصراع الطبقي في أعماق صورته وأعنفها، وكذا الألم البشري في أغرب أشكاله.

قرنت أميناتا سو فال الأحداث والشخصيات بالمتسولين، فنسجت حبكة روايتها على هؤلاء المهمشين، فتطهير مدينة داكار (عاصمة السنغال) منهم مبتغى مدير مصلحة النظافة العامة، مور ندياي (Mour Ndiaye)، في بداية القصة، والتودد إليهم ومنحهم الصدقات مهمة مستعجلة يلح المسؤول ذاته على استكمالها في النهاية، دون أن يستطيع إلى ذلك سبيلا بسبب إضرابهم، فتتأرجح صورة المتسولين، على مدى العمل، وتقف على طرفي نقيض .

تضارب المصالح وتعارض، ففي البداية كان أمر التخلص من الشحاذين مرتبطا بإرضاء رغبة الحكام في الترويج للسياحة واستقطاب السواح باعتبارهم مصدر الثروة والسمعة الطيبة، أما أمر التقرب إليهم في النهاية فقد ارتبط بتحقيق نبوة العراف القاضية بأن يُعيّن المدير نائبا للرئيس خلال ثمانية أيام، في حال ما إذا تصدق ثورا على سبعة وسبعين متسولا. ويأتي الإضراب، فيختفي الشحاذون ويمتنعون عن التسول، إظهارا لقيمتهم وصيانة لكرامتهم، فيغدو المسؤول موضع سخرية، ويضطر إلى التفاوض معهم، بعد التنقل إلى محبتهم المتواجد في بيت تاجرة متسولة سابقا، والتوسل إليهم بإيقاف الإضراب، لكنهم بعدما وعدوه بالهجيء في اليوم الموالي، يمتنعون عن ذلك، فيظهر خائبا وهو يطوف المدينة باحثا عنهم بسبعة وسبعين كيسا من اللحم، ويضيع المنصب المأمول فيتم تعيين غيره نائبا للرئيس .

تمنح الرواية صوتا وصورة وشكلا للمهمشين، وتُظهر السنغال، ومن خلالها بلدان أخرى كثيرة، وهي تتخبط اجتماعيا وثقافيا، فالحياة الاجتماعية مؤسسة على جدلية طبيعية حتمية بين الطبقات، ذلك أن الغني والفقير، السيد والعبد، القوي والضعيف، ثنائيات تظل أطرافها في دينامية مستمرة، لا يتحدد طرف منها بمعزل عن الآخر، ولا يستقر على حال أو صورة أو هيئة.

أما الحياة الثقافية، في غياب المتسولين والفئات الهشة المهمشة، فتضطرب؛ فإلى من تُوجّه الدعوات، وإلى من تُوجّه الصدقات التي هي مصدر البركة والفلاح؟ وبذلك يصبح للجانب الروحي العقائدي مكانته الراسخة في أعماق مجتمع إفريقي، اضطهد فيما مضى - ولوقت طويل - للون بشرته ورغبته الطبيعية في العيش والوجود، فتُصوّر الزنوجة أدبيا وجماليا، على حد تعبير جان بول سارتر (Jean Paul Sartre)، "بوصفها فعلا أكثر من كونها استعدادا، لكن هذا الفعل

استعداد داخلي: لا يتعلق الأمر بالاستحواذ على خيرات العالم وتحويلها، إنما بالتواجد وسط هذا العالم. تظل العلاقة مع الكون علاقة تملك" (ترجمتنا) (-30-xxx, Sartre, 1985). وليس يتحقق التوازن بين طبقات المجتمع المتباينة إن استُهدف ضعفاؤه وطالمهم ظلم الأقوياء، فزادهم ذلك تهميشا وحرمانا من الوجود والحياة، وأغفلت قيمتهم الثقافية والإنسانية.

يُبرز العنوان هذه القيمة المسلوقة من المهمشين، فالإضراب يكون عادة سلاح نضال اجتماعي، يقوم به العمال والمعارضون، لإسماع أصوات رفضهم، والمطالبة بحقوقهم، لكن المفارقة الساخرة تبدأ في اللحظة التي يدرك فيها القارئ أن المضربين هم المتسولون، الذين يعيشون على مساعدات وصدقات الناس، أو بالأحرى هم عالة على غيرهم، فكيف يجرمون أنفسهم مما ليس لهم (حُرِّموا منه) في الأصل؟

ربطت أميناتا سُو فال الإضراب في عنوان روايتها بكلمة "bàttu"، التي عمدت إلى شرحها في هامش الصفحة 24، موضحة أنها قرية صغيرة يمد بواسطتها الشحاذون أيديهم لطلب الصدقات (Sow Fall, 2001, 24)، وتنحدر الكلمة من لغة الوُولُوف (wolof) المحلية الإفريقية، ويقصد بها عامة وعاء الصدقة، وبذلك نسبت الروائية فعل الإضراب إلى أصحاب القرب، أو إلى من يمتنون التسول، فلجأت إلى صورة بيانية في اللغة الفرنسية، هي الكناية (la métonymie)، مستعملة كلمة للدلالة على فكرة معينة مغايرة مقترنة بها في الأصل، فقد حددت كلمة "قربة" في العنوان الأصلي "المتسولين"، على أساس الجزء الدال على الكل، فذكرت صفة حمل القرب الملازمة للمتسولين، على سبيل الكناية عن الموصوف في البلاغة العربية. وهذه الصيغة، "حاملو القرب"، التي تتضمن دلالة الاحتقار في قاموس الأغلبية، اقترن بها فعل الإضراب، خلاف كل التوقعات، ليفيد العنوان في صيغته الإفريقية، إن صحت العبارة، عزيمة الضعفاء والبسطاء والمهمشين وانتصارها على سلطة الأقوياء وكبريائهم وظلمهم.

2.2 ترجمة التمثيل الاستشراقي:

ترجم جمال الجلاصي العنوان إلى العربية مستغنيا عن الصورة البيانية الواردة في الصيغة الأصلية، مستعينا بالأسلوب المباشر "إضراب الشحاذين"، فاتحا أمام القارئ باب التأويل المباشر، أي نسبة فعل الإضراب إلى الشحاذين بغية تخصيصه بذلك واكتساب التعريف منه، فالترجمة إذن مباشرة، قامت على التعريف بالإضافة، وتفيد- كما في الأصل- إضراب المنبوذين اجتماعيا، لكنها لا تختزل هؤلاء إلى "حاملي القرب"، ولا تحيل- كما في الأصل- إلى تهميش مضاعف، الشحاذ صاحب القربة، الممتنع عن إخراجها والتسول بها.

ولقد غاب العنوان الفرعي "ou Les Déchets humains"، عن الترجمة العربية للرواية، مع أنه يضطلع بوظيفة المرادف التي يشير إليها حرف العطف "ou" (أو)، ورغم قلبه الإيجائي (النفائيات البشرية) إلا أن النص المترجم تضمن فقط الصيغة الرئيسة في أبسط قوالبها وأكثرها تداولاً لدى المبدعين العرب، فكان التفاوت على مستوى الشكل عبر الحذف الذي منطلقه عملية استبدال، لا تكون مبررة ومقنعة دائما، ذلك أن "الترجمة أيضا استبدال النصي بالنصي، إنها الذهاب

من لغة إلى لغة، مروراً من واقع سبق تأويله، سبق تشكيله في لغة، سبق تأسيسه في عمل" (ترجمتنا) (Tatilon, 2003, 114)، فالواقع الإفريقي المشترك بين المترجم والروائية قد يكون عاملاً حمل الأول على الاكتفاء بما هو أساسي لدى الثانية، لعدم الحاجة إلى مفاتيح تأويلية عديدة وقرائن لفظية تسد الفجوة الثقافية بين نصين متقاربين من حيث مرجعيات كتابتهما، إبداعاً وترجمة، وفق هذا الترتيب.

يتحدد الراهن الإفريقي استناداً إلى الوضع الاجتماعي المتردي وتبعات الفساد السياسي واضطراب معالم الهوية، فالتسول الذي أصبح ظاهرة متفشية في أيامنا، لا تكمن خطورته في وجوده ووتيرة استفحاله، إنما في عدم اتخاذ أسباب الحد منه، إذ صار أقرب ما يكون إلى الموضة، تنظر إليه المجتمعات الإفريقية بعين القبول والاعتقاد، متأسية في ذلك بما هو في المجتمعات الغربية، وفي هذا الشأن تقول أميناتا سو فال، في مقابلة أجريت لها سنة 2012، على سبيل التعميم والتنبيه: "نسى أننا في كثير من الأحيان نتسبب في فقرهم. وفي الأساس، نريدهم أن يبقوا هناك. لأن ذلك يجعلنا نشعر بتحسّن تجاه أنفسنا. لأننا نريدهم أن يكونوا معتمدين علينا. لأننا نعتقد أننا نتبع مثلاً أكثر قداسة. باختصار، نحن نعزلهم لكي نشعر بالرضا عن أنفسنا، وهذا ليس صحيحاً، فنحن نستخدم الدين لتبرير ذلك، والعالم الغربي يفعل ذلك أيضاً. إذا كان هناك من يعتقد خلاف ذلك، فهو في حالة إنكار" (عثمان، 2020، 104). وتمنح الأديبة الكلمة للمتسولين في روايتها، فيتأسس على أفكارهم ورؤاهم خطابٌ يفكك الراهن من كافة جوانبه، ويشخص الداء عبر شتى أعراضه. وجاءت الترجمة العربية للمقطع السابق مستجيبة لشرط التكافؤ الشكلي والدينامي. هذا ما نعاينه فيما يلي: "إذا كنا نتسول فلأن الفرص لا تتساوى عند جميع البشر، ولأن الأكثر ثراءً عليه أن يعطي جزءاً مما عنده للفقراء، هكذا تقول الديانات، بتسولنا نحن لا نطالب إلا بحقوقنا" (سو فال، 2011، 90).

Si nous mendions, c'est parce que les chances ne sont pas égales pour tous les individus, et que ceux qui sont plus nantis doivent donner une partie de leurs richesses aux plus pauvres. C'est comme ça que la dit la religion; en mendiant nous ne faisons que réclamer ce qui nous est dû ! (Sow Fall, 2001, 107-108).

حرص الجلاصي على الاهتمام بمضمون النص الأصلي وشكله، وتحقيق تطابق ودقة على مستوى الجملة، فأنجج مكافئاً شكلياً، أقرب ما يكون إلى التام، باستثناء مقابلة كلمة (religion) المفردة في الأصل بصيغة الجمع (ديانات)، ومن بين ما يبرر هذا الخيار لدى المترجم، سعيه لتكييف النص الهدف مع توقعات المتلقي الثقافية، أي إنه يعمل على إنتاج مكافئ دينامي يبيّن المنظر والمترجم واللساني الأمريكي يوجين نيدا (Eugene Nida) أنه مرتبط بلغة المتلقي، ثقافته وبيئته، وهذا يعني أن المتلقي يجب أن يكون قادراً في الأساس على الاستجابة للرسالة ضمن سياق ثقافته الخاصة به. ولكي يفعل ذلك، فلا يقتضيه الأمر أن يصبح نوعاً من المتلقي الكاذب للثقافة" (نيدا، 1976، 291). فمراعاةً من جمال الجلاصي للمعطى الثقافي المترسخ لدى القارئ العربي، ووعياً بضرورة عدم مغالطته، عمد إلى جمع كلمة "الديانة" في مقام يحيل إلى إجماع كل الكتب السماوية على التكفل بالفقير وإعطائه حقه من الرعاية المادية والمعنوية، فتم بذلك تطويع الرسالة

المتضمنة في نص أميناتا سُو فال، التي لا ترى التسول قدرا مقدّرا ولا حاجة متأصلة* بل خروجاً عن تعاليم الدين الإسلامي، فبقدر ما حرصت الأدبية السنغالية على التصريح بالثقافة الدينية لشخصياتها الروائية، بقدر ما حرص المترجم التونسي على تكييف رسالة الرواية مع المشترك الثقافي الإسلامي لدى الأفارقة وغيرهم من مسلمي العالم. تُبرز الرواية النظرة الاستعلائية للأفارقة، بعضهم تجاه بعض، الغربية عن الديار الإفريقية، والتي تجعل أصحابها عديمي الإنسانية، فيطالعنا في مستهل العملين المقطعان الآتيان :

هؤلاء الشحاذون، المتسولون، المجذومون، أصحاب الأجساد المريضة، الخرق المكوّنون للتفايات البشرية. يجب تخلص المدينة من هؤلاء الناس، الأصح ظلال الناس، فضلات الناس الذين يهاجمونك ويعنفونك في أي مكان وزمان كنت (سو فال، 2011، 06).

ces mendiants, ces talibés, ces lépreux, c'est diminués physiques, ces loques, constituent des encombrement humains. Il faut débarrasser la Ville de ces hommes- des ombres d'hommes plutôt- déchets humains, qui vous assaillent et vous agressent partout en n'importe quand (Sow Fall, 2001, 11).

يمكن إدراج نمط ترجمة هذا النص ضمن ما يعرف بالترجمة المتمركزة عرقياً، التي لا تختلف كثيراً عن آلية التكافؤ الدينامي، فقد حرص الجلاصي على إبراز آثار اللغة الهدف، وإعادة كل شيء إلى ثقافتها، فهذه الترجمة، كما يحددها اللساني والمنظر الترجمي الفرنسي أنطوان برمان (Antoine Berman)، "مطالبة بتقديم نص يكون هو نفسه، لو تسنى للكاتب الأجنبي كتابته باللغة المترجمة [الفرنسية مثلاً]. وأيضاً أن يكون للعمل المترجم على المتلقي نفس «التأثير» الذي مورس على قارئ النص الأصلي" (برمان، 2010، 55)، فيكون تلقي العمل والتجاوب معه إيجابيين، في صالح المترجم ومكرسا لجهده .

ما يلاحظ في نص الترجمة، غياب ترجمة كلمة "talibés"، التي ترتبط بالبيئة الثقافية السنغالية، فهي تحيل إلى أطفال المدارس القرآنية الذين غدوا متسولين نتيجة تردي الحياة الاجتماعية في البلد، فأصبحت الكلمة مقترنة في الفترة الراهنة بدلالة التسول، فأثر المترجم بذلك عدم تكرار كلمة "المتسولين" مرتين، لكن تعريب الكلمة كان ممكناً عبر إجراء الاقتراض، كأن تقابل مثلاً بكلمتي "الطلاب" أو "الكتاب". ومع ذلك، كيّف المترجم كلمتي "lépreux" و"loques" - في المقطع ذاته- مع المعجم العربي والسياق النصي، فأدت كلمتا "المجدومين" و"الخرق" الدور المنوط بهما في تحقيق جمالية الوصف وعملية التأثير، وتأسس فعل النقل على بلاغة اختيار الصيغ اللغوية المؤثرة، وبذلك "من الممكن إنتاج

*- في سياق إظهار قناعتها الدينية وإبراز موقفها من التسول والمتسولين، تقول الكاتبة أميناتا سو فال في مقابلة 2012، مشرحة ظاهرة التسول في البلاد الإسلامية: "التسول ركيزة لهذا المجتمع السنغالي، نعم، هي حاجة موجودة، لكنها حاجة أنشأناها. إنها ليست حاجة متأصلة، إذا ما نظرنا بعيداً، نحن لا نعرف ماذا نفعل بأنفسنا، لقد قمنا بتحريف بعض التعاليم في القرآن، ونعتقد أن خلاصنا يعتمد جزئياً على تبرعاتنا الخيرية. فبدلاً من رفض السماح لهؤلاء الأفراد بالعيش في الشارع وعدم الوصول إلى أبسط الضروريات، بدلاً من إنشاء نظام يمكننا من خلاله أن نكون خيريين من خلال عدم إقصاء شخص ما في حالة الفقر المدقع، نقول إنه يجب أن يكون لدينا متسولون حتى تتمكن من تحقيق تلك الشروط" (عثمان، 2020، 103-104).

ترجمة مقبولة جدا تضم في جوانبها شحنات إيصال شكلية ودلالية لفظية في نفس الوقت" (نيدا، 1976، 283)، ويترتب عن إنتاج تلك الشحنات، تقارب عوامل التلقي السلس والتأويل الجيد لدى قراء النصين، على حد سواء. لعل هذا النص نموذج آخر من الرواية يصور طبيعة الخلل ومكمنه في المجتمعات الإفريقية، فكما تتابعت الأوصاف والأفعال الدالة على تردي الوضع الإنساني للمتسولين في النص الأصلي، وإسهام بعض الفئات في تفاقمه، لاسيما الحكام والمسؤولون والمتقفون أنفسهم، فإن النص العربي ترجم بدوره الوضع الأصلي وأبان عن قدرة في جعل القارئ لا يستشعر وجود عملية ترجمة في الأصل، فتبنى "ترجمة حساسة للعوامل الثقافية واللغوية على السواء. وقد تتخذ هذه الحساسية شكل تقديم نص شفاف يخبر المتلقيين في اللغة المستهدفة بعناصر الثقافة الأصلية أو شكل إيجاد تعبيرات في اللغة المستهدفة يمكن اعتبارها بصورة ما «مكافئة» ثقافيا لتعبيرات النص الأصلي التي تترجمها" (كووي، 2008، 87)، وتحقيق معادلة التكافؤ الثقافي وبلوغ حساسية ثقافية لغوية، لدى ترجمة الإبداع الأدبي الإفريقي، من شأنهما نقل التزام الأديب الإفريقي وتطلعاته، وتمثيل راهن الإفريقي في معترك الحياة والواقع، وفي تموقع العامة والنخب إزاء الثقافات الوطنية والدخيلة، فتصبح تلك الترجمة، كما يقول الجلاصي في إحدى مقابلاته الصحفية، "لمسة شكر لمبدعين أحببناهم استضفناهم في حضارتنا ليس عبر تحويلهم للغتنا بل عبر تطويع لغتنا لكي تكون وعاءاً لأرواحهم وأفكارهم" (إسماعيل، 2018، 20)، والوعاء واعي وتحد واستجابة في آن.

تبيّن رواية "إضراب الشحاذين" للقارئ العربي والمجيد للعربية، كيف أن التسول ليس متأصلاً في المجتمع السنغالي الإفريقي، ولا في المجتمعات الإسلامية عامة، وأن الخلل الجوهرى يكمن في الابتعاد عن القيم التي تشكل هوية تلك المجتمعات، وتمنحها مناعة مستدامة، إذ انطبع قول الإفريقي وسلوكه بصفات غريبة عن دياره، لعل أخطرها الاستعلاء على ثقافته المحلية وتهميشها والانصرار السهل للتلقائي في ثقافة الآخر، وذلك من تبعات الاحتلال على الراهن الإفريقي، ومن مفرزات العولمة المهيمنة، فالرواية الإفريقية "تتناول ظواهر الجشع وإساءة استخدام السلطة بين النخبة ما بعد الاستعمار، والتبني المبالغ فيه لأساليب الحياة الغربية، وتجاهل الثقافة المحلية" (عثمان، 2020، 104)، وكلها مظاهر تصب في مصب التسول الذي لم يجعله أميناتا سو فال حكراً على الشحاذين الذين يستعطون الناس ويسألونهم الصدقة والإحسان بإلحاح، بل جعلت التسول على صعيد أوسع، وأدرجته في خانة المشترك الإنساني الذي يقوم من جملة ما يقوم على الكرامة والحرية والأخلاق، إذ مثلت الإفريقي- وينطبق هذا حتماً على بقية الشعوب المستضعفة- وهو يتسول عادات وسلوكات الغرب البغيضة ويُضرب عن ثقافته، ويعرض عن ذاته، فما إضراب المتسول إلا إحجام عن إنكار الذات والترفع عنها والزهد في مقدساتها ومقوماتها.

حري بنا أن نقول إن الراهن الإفريقي المأزوم قد خضع إلى تمثيل أدبي استشرافي، بعيون وأنامل إفريقية، شرّحته وشرّحته، واستجاب لترجمة ثقافية استجلت مضمراته ومفارقاته، وأبان بأمانة وجمالية عن النقد الذاتي اللاذع الذي تبنته الكاتبة

حيال الذات الإفريقية، وممارسته بصدق على سلوكيات أبناء بلدها، قارتها وجلدتها، في مسار التخلي السريع عن ثقافتهم والانسلاخ الطوعي عن جذورهم وعاداتهم، والتشبه الفوري بالآخر المختلف، عن وعي وقصد أو دونهما.

3. ترجمة الراهن الثقافي

1.3 الراهن من منظور ديني:

إن دعوة أميناتا سُو فال الإفريقي إلى عدم إنكار ذاته والعودة إلى جذوره، لهي دعوة صريحة وضمنية، في آن، جسدتها نصيا من خلال توظيف العنصر الديني توظيفا مكثفا في روايتها، فكان لموضوع الصدقة نصيب وافر منها، بل إن بنية العمل العميقة تقوم على فكرة التكفل بالضعفاء والمعوزين المتسولين، والنظر إليهم بعين الرحمة، وعدم نهرهم (Sow Fall, 38, 2001)، فالتسول حتى وإن شكّل مشتركا إنسانيا عبر المكان والزمان، فإنه يكتسي طابعا مأسويا إن ظل يقابل ويعالج بالاحتقار والاستعلاء والإقصاء، فبالصدقة- كما تُقر إحدى شخصيات الرواية- يبقى المحتاج على قيد الحياة، وهي حاجة ضرورية للروح، بفضلها يظفر المتصدق بدعاء المعوز ويبلغ راحة ذهنية وسلامة معنوي (Sow Fall, 2001, 72).

فالمقاربة التي أرادتها الأدبية لهذا الموضوع دينية ثقافية بدرجة خاصة، فالدين يمنح الفقير مكانة كريمة محترمة وسط مجتمعه، تقيه من التسول ومهانة اليد السفلى، ويبقى التكافل الاجتماعي من بين الأسس التي انبنت عليها المجتمعات الإفريقية، فكان الدين، وسيظل، معول إرساء جسور التضامن والتراحم بين الناس، وقد أمد الثقافة بما فيها من معارف ومعتقدات وسلوكيات، بمادة التواد الروحي، فتأصلت جراء ذلك ثقافة التشارك والتقاسم والتبادل، وتكوّن إرث ثقافي اجتماعي حضاري يُجسّن به الإنسان وضعه ويجد لذاته وهويته مكانا في هذا الكون الواسع.

اعتمدت أميناتا سُو فال أسلوبا ساخرا في تمثيل الراهن الثقافي الإفريقي، إذ أثّرت روايتها بشخوص وأحداث تتطور وتتعدّد لترسم صورة مفارقة عن الشحاذين باعتبارهم ألما ضروريا، فهم مصدر ركود سياحي اقتصادي، من جهة، وأداة روحية للتكفير عن الذنوب وطلب رضا الله بقطعة نقدية تُمنح لهم، من جهة ثانية، وهم وسيلة لبلوغ المآرب السياسية وإشباع الأطماع والمصالح الشخصية، من جهة ثالثة. وهذا التصوير المتأرجح الذي يجعل الصدقة دينا روحيا تقتضيه الأعراف الثقافية، يتضمن مفارقة من طبيعة فلسفية، ذلك أن الصدقة "تشتغل أولا داخل كل مستوى اجتماعي، بين المتساوين، أما بين غير المتساوين فتهدف إلى إعادة توليد اللامساواة، بجعلها قابلة للتحوّل: سلطة الغالب السخية، وطاعة المغلوب" (ترجمتنا) (Hoffelt, 2002, 30-31)، فتجلّي جدلية السيد والعبد الهيجيلية يبلغ أقاليم المهمشين أنفسهم، ليطل تفاصيل حياتهم، وصيغ تعاملهم اليومي، وطقوس ثقافتهم.

تُعد الجملة المفتاحية "l'égoïsme ne se pardonne pas" (Sow Fall, 2001, 48)، المترجمة إلى "الأناية لا تغتفر" (سوفال، 2011، 90)، علامة لغوية ثقافية تتحدد بما إفريقيا، فالحياة الاجتماعية الإفريقية مرهونة بثقافتها، التي فضلا عن كون الصدقة فيها فرضا وواجبا روحيا وثقافيا، كما تبين لنا من كل ما سبق، فإن الانحراف عنها يسبب للمجتمع

برمته التيهان، والانجراف الإرادي التلقائي وراء سراب المال والسلطة والجاه، التي أضحت مشاريع الراهن وقضاياه يتخبط فيها المجتمع الإفريقي غارقا في مستنقعات كره الذات والولع بالآخر الحذر المرتاب.

قامت الترجمة في المقطعين السابقين على شبه تطابق شكلي ومضموني، والعامل في ذلك تناسب العاملين الأدبيين ثقافيا، وكذلك نعاين التناسب ذاته في نصين مرتبطين بتعدد الزوجات، وهو مظهر ثقافي آخر في السنغال لا يختلف عما هو الحال في تونس، بلد المترجم، وبلدان إفريقية وإسلامية أخرى، ومن بين ما يشد الانتباه، في المقتطفين، منطلق المواجهة وتفكيك الذهنية الأبوية/الذكورية في قضية تهميش المرأة وقهرها :

ثم حين وجدن أنفسهن في نفس وضعيتك اليوم استسلمن لضغوطات عجائز من زمن آخر لا يمكنهن فهم عالم اليوم، استسلمن خاصة للجن، لم يتمكن من تحمل مسؤولياتهن، فبحثن، فوجدن أسبابا أخرى تمكنهن من البقاء في وضعية لا يقبلنها في أعماقهن، ويعتقدن بسلوكهن هذا أنهن يحافظن على المظهر الاجتماعي (سوفال، 2011، 47).

Puis, quand elles se sont trouvées dans la situation où tu te trouves aujourd'hui, elles ont cédé à la pression des vieux et des vieilles, qui sont d'un autre âge et ne peuvent pas comprendre le monde d'aujourd'hui; elles ont cédé surtout à la lâcheté car elles n'ont pas su prendre leurs responsabilités, elles se sont alors cherché et trouvé d'autres raisons qui leur permettaient de se maintenir dans une situation qu'au fond elles détestent. En agissant ainsi, elles ont pensés avoir sauvé les apparences (Sow Fall, 2001, 64).

أحدث الجلاصي بعض التغيير في النص العربي، إذ حذف كلمة "vieux"، وقابل عبارة "se sont alors cherché" بكلمة واحدة، "بحثن"، لا تؤدي المعنى كاملا (الأصل أن يقال "بحثن عن ذواتهن")، كما أضاف كلمة "الاجتماعي" التي لم ترد في النص الأصلي، وهذه الترجمة بالحذف والزيادة قد تهدف إلى إثراء السياق في حال تناسب الثقافات فيما بينها، ذلك أن "أوجه الشبه في مثل هذه الحالات تمدنا عادة بسلسلة من المتوازيات في المحتوى" (نيدا، 1976، 311). فجعل المترجم الهيمنة الذكورية ومهمة المحافظة عليها منوطة بالعجائز، لما لهن من وقع على المرأة في الثقافة العربية، كما حدد طبيعة المظاهر "les apparences"، التي تحرص النساء الخاضعات على صيانتها، بالاجتماعية، ولقد جعلت الكاتبة الفتاة رابي (Raabi)، ابنة مور ندياي، الشخصية الرئيسية الراغبة في الظفر بمنصب نائب رئيس الجمهورية، لسان حال أمها لولي (Lolli) المستسلمة لقرار زوجها المتزوج من امرأة ثانية شابة، ولسان حال المرأة الإفريقية، فأبانت تلك البنت عن رفضها لثقافة قهر المرأة وإذلالها، لترفع بما الأدبية راية النضال النسوي، وتؤسس لثقافة المساواة والاحترام بين الجنسين، التي لا تزال مطلبا حيويا في أيامنا في القارة الإفريقية، والوطن العربي، والعالم الإسلامي.

2.3 التنوع الثقافي راهن مقاومة للترجمة:

ترجم الجلاصي التنوع الثقافي المميز لرواية أميناتا سو فال، فاستجاب منته العربي لتداخل اللغة الفرنسية مع لغة الوؤلوف المحلية الإفريقية، ويلاحظ القارئ أن توظيف اللغة المحلية مطّرد في سياق الحديث عن خصوصيات المجتمع السنغالي، كحديث الشحاذين، والتحيات، والصيغ الدينية، والملابس والأكلات المحلية؛ في حين يرتبط توظيف الفرنسية بما سوى ذلك من العموميات، كمحادثات السياسيين، والإطارات، والمتعلمين. ولقد وفّرت الشروحات التي قدمتها الروائية للجمل

والكلمات المدونة بالوولوف في هوامش الصفحات، الجهد والوقت على المترجم، وبذلك ما عليه سوى الانخراط في مسعى المبدعة في مزاجتها بين لغة محتل الأمس ولغة الأم، وفي "التزام الصرامة على مرحلتين: ماض احتلاي للافتراس اللغوي (glottophagie)، ومستقبل مفتوح على ترقية وإعادة الاعتبار الكلي للغة (لغاته)" (ترجمتنا) (Zabus, 2018: 79)، وذلك مقصد مشترك بين الأدباء الأفارقة، يدفعهم باستمرار إلى منح لغاتهم المحلية الوطنية هوية ثقافية، والإسهام في التصدي، رفقة المترجمين، لعولمة الأدب الحائلة دون الاعتراف بعالميته.

تعامل المترجم تعاملًا مناسبًا، أيضًا، مع بعض عناصر الثقافة الشفوية الحاضرة في الرواية الأصلية، المكتوبة بخط مائل، كالعبارات المقترضة من العربية، ومنها "إن شاء الله" (ذكرت هذه العبارة إحدى عشرة مرة في الرواية)، "أمين"، "الحمد لله"، "السلام عليكم"، "عليكم السلام"، "تبارك الله"، وهي عبارات ذات صلة وثيقة بالثقافة الإسلامية، وجد نص الترجمة في رحابها دلالاته الدينية، واغترف من شفويته الإفريقية. وفضلا عن هذه "المحددات المرجعية الثقافية، التي هي معطى خاص بكل حضارة، تولد كلمات قصد تقديم ثقافتها والحديث عنها" (ترجمتنا) (Ballard, 2005, 126)، نجد حضورا واسعا لشخصية "الولي الصالح (marabout)"، بهالته ورمزيته المعهودتين في المجتمع السنغالي، إذ ترتبط به شخوص الرواية برمتها، بما فيها البطل الساعي بلهفة وراء المنصب السياسي، وزوجته الراغبة في استقرار أسرتها، ولعل حرص الأدبية على استحضر هذه الشخصية المتجذرة في حياة المجتمع السنغالي، هو علامة ثقافية أخرى مبثوثة بقوة في روايتها، تمنحها خصوصيتها الإفريقية، التي لا ينبغي على المترجم إغفالها، لا سيما إذا تعلق الأمر بترجمة فعل ثقافي (fait culturel) "يقاوم الترجمة بشدة بحكم انتمائه إلى لغة/ثقافة مصدر متجذرة بقوة في بيئتها الأصلية" (ترجمتنا) (El Badaoui, 2012, 134)، والمثير للانتباه في ترجمة الجلاصي أنها وضعت الفعل الثقافي السنغالي في بيئة ثقافية مغاربية مضيافة، تجمعها بالإفريقي علاقات قرابة جغرافية، تاريخية، وإنسانية.

تجاوبت الترجمة العربية للرواية، أيضا، مع الموروث الثقافي الإفريقي، الممثل بقوة في رواية أميناتا سُو فال، فبقدر قيام العمل على مشاهد وشخوص (أسماء) من الواقع والمجتمع الإفريقيين، بقدر استحضره لألوان من الأكل الشعبي، كالكسكسي (baasi salte)، العجائن (laax) والشاي (L'ataya)؛ ولبعض أصناف اللباس الإفريقي، كالعباءة (boubou)، التنورة (becco)، والقميص (turki). ويحس القارئ الإفريقي والمشرقي، وهو يعاين هذه العناصر التراثية المادية، الثابتة المنقولة وفق اصطلاح أهل الاختصاص، أنها من المشتركات الإنسانية العامة ومن الحاجيات الأساسية، التي تمتلك وزنا ثقافيا وأخلاقيا كبيرين، فعلى أساسها يتحدد نمط الحياة، وتتأسس العادات وتتأصل، وترسخ قيم التقاسم والتشارك التي فطر عليها المجتمع الإفريقي منذ فجر الإنسانية.

إن الراهن الثقافي الإفريقي، الذي تتعايش فيه قيم الدين الروحية وعادات المجتمع المادية والأخلاقية، وتتداخل فيه اللغات المحلية مع لغة (لغات) الآخر الأوروبي، تتطلب ترجمته إلماما بالخصوصية الثقافية الإفريقية، أو كما يعرفها الأديب السنغالي ليوبولد سيدار سنغور (Léopold Sédar Senghor) (التي تعني مجمل القيم الثقافية للعالم الأسود

تمثيل الإفريقي وترجمته في رواية "إضراب الشحاذين" (La Grève des bâttu) لأميناتا سو فال (Aminata Sow Fall)

(أونلاين، 2019)، والإمام بتلك الميزة يستدعي في الفعل الترجمي تغليب معادلة المضمون على معادلة الشكل، كما يتطلب ترجمة ثقافية قد تستدعي تكييفًا ثقافيًا (adaptation culturelle)، كما تقول كريستين دوريو (Christine Durieux) - واحدة من أنصار النظرية التأويلية في الترجمة - غايته "تعويض ذلك التباين المرتبط بـ رؤية العالم بين المجتمع الذي ينتمي إليه النص الأصلي ومتلقي الترجمة" (ترجمتنا) (Durieux, 1998, 29)، ولأن الجلاصي كان إزاء أدبية لا تباعد كبير بين رؤيتها للعالم والرؤية الأدبية الإفريقية عامة، فقد سعى لتحقيق تأثير على القارئ العربي أقرب ما يكون من تأثير الرواية الأصلية على قرائها الطبيعيين.

يمكن القول بأن رواية "La Grève des bâttu"، بما يميز عوالمها السردية والبنائية من عناصر متصلة بالراهن والحياة الثقافية الإفريقية، أتاحت لمتربها النفاذ إليها كقارئ أولاً، استهوتها جمالياتها وقضاياها المشتركة مع أبناء بلده وقارته، ثم كمتربم أحسن ضيافتها، وحرص وهو يترجمها على بلوغ غاية كل مترجم جاد "في إعفائنا من قراءة النص الأصلي" (ترجمتنا) (Ladmiral, 1994, 15)، وقد أفلح في ذلك، مقدار ما أفلحت الأدبية العالمية في ترجمة الحياة الإفريقية إلى أدب ناضج واع، يمنح أفكارها وقضايا المجتمع الإفريقي أبعاداً رؤيوية تتخطى المكان والزمان، تتأرجح بين الخاص والعام . ومع أن اللغة التي كتبت بها الأدبية لغة أجنبية، إلا أنها طوّعتها لصالح ثقافتها وزوجتها، أخذت بما أبدعته بها وفيها موقع المتحصن بثقافته فيما لدى الآخر، فتموقعها دفاعي ثقافي بدرجة خاصة، وكما تقول الدارسة شنتال زابو (Chantal Zabus) المتخصصة في الأدب الإفريقي ولغات الأقليات، "لم يحن بعد الوقت الذي سيعتق فيه الكاتب الإفريقي بتلقائية اللغة الأوروبية، باعتبارها لغة أجنبية ضمن لغات أخرى، - سيجد نفسه في ملتقى الطرق، النظرة موجهة إلى الوراء نحو العمل الذي أنجزه بلغة المحتل السابق، وهو فضولي أو مفتون بـ «الطريق الذي لم يتبعه»" (ترجمتنا) (Zabus, 2018, 79). كذلك شقت أميناتا سو فال الطريق، مع أدباء أفارقة أمثالها وهم أكثر، طريق زواجها والنضال الإفريقي المشترك الذي لا تغيب عنه الهوية والذات، دون إقصاء الآخر المقصي .

إن ظلت الرواية الإفريقية نضالاً يتقاسمه أبناء القارة السمراء، بجراحات الأمس وإكراهات اليوم، فلأن مسار استرداد الهوية الإفريقية وانتزاع اعتراف الآخر المختلف بها لا يزال عسيراً طويلاً يعد، وسط موجات المد الأمبريالي ومخاطر العولمة، بالطول والالتواء، ولقد تفتن مولود معمري، أحد أدباء هذه القارة الملتزمين بقضاياها، إلى عظم المسؤولية الموضوعية على عاتق الأدباء الأفارقة، فأدبهم نضال أكبر: "في النهاية، أفضل وسيلة لمقاومة الاحتلال الجديد أو الأشكال الماكرة التي اتخذتها الأمبريالية منذ وقت قصير، هو تأسيس الثقافة الحقيقية التي تستند عليها القيم الجديدة التي استقتها الشعوب الآسيوية والإفريقية من ثروات ماض بعيد، ومن دروس نضال حديث العهد في سبيل استرداد ذواتها. هذه المهمة التي تنتظر الآن ككتاب إفريقيا وآسيا، هي آخر أشكال النضال من أجل التحرر وأكثرها حماسة من تلك التي خاضوها إلى حد الآن" (ترجمتنا) (Mammeri, 1991, 58). ولا يقل المترجمون شأننا في معركة التحرر هذه التي، بتعدد أصواتها وتلوّنها بثقافات الشعوب والأمم، تتلقى تجاوباً وعرافاناً باسم المشترك الإنساني، والمكتسبات الثقافية الإنسانية.

خاتمة:

رواية "La Grève des battus" رواية إشكالية، مثلت البؤس والتسول باعتبارهما من قضايا الراهن في إفريقيا، ولقد مزجت الكاتبة أميناتا سُو فال في تمثيل هذا الراهن المتداعي بين الألم والمأساة والتهمك والسخرية، ووضعت في الواجهة سؤال التهميش في قالب جمالي هجين. ولقي هذا العمل أصداء قوية في العالم، وكان للترجمة دور فعال في رواجه، ومنح أفكاره حيزاً أوسع من القراءة والتأويل بحكم تداولها لدى قراء العالم.

تأخرت ترجمة هذه الرواية إلى العربية، فلم تصبح تحت تناول القارئ العربي أو المجيد للعربية، إلا بعد ما يربو عن ثلاثين سنة من صدورهما. فجاءت ترجمة جمال الجلاصي حاملة لشروط النقل الوفي ومراعاة الخصوصية الثقافية واللغوية، ولقد أسهم التقارب الثقافي بين الأدبية والمترجم في تبني آليات التمرکز العرقي، والتكافؤ الدينامي في عملية الترجمة التي استمدت من الثقافة مادتها الأولى، فكان ذلك عاملاً إيجابياً في بروز سلسلة من المتوازيات في المحتوى .

تجاوب النص الهدف مع مضامين النص المصدر، فتجلت فيه خصوصية تمثيل الراهن الإفريقي تمثيلاً يركز على إبراز قيمة الضعفاء والمحتقرين في المجتمع، وأهمية الدين في مواجهة أمور الحياة وإنصاف المهمشين، وإعادة التوازن بين أطراف المجتمع. تُرجم العنصر الثقافي اعتماداً على آلية التكيف، التي جعلت المترجم إزاء مظاهر التداخل اللغوي، أو الافتراض اللغوي، أو لعلامات التراث المادي واللامادي، فتم نقل هجونة الإبداع الروائي باعتباره خصوصية ثقافية.

نقل المترجم التونسي، في رواية "إضراب الشحاذين"، رسالة الأدبية السنغالية التي جوهرها مقاومة الهيمنة الثقافية، من أي طرف كان، عبر الاحتفاء بالثقافة المحلية، وشق طريق رد الاعتبار للذات الزنجية والهوية الإفريقية، ومحاوره الآخر، وزرع القيم الثقافية الإنسانية المشتركة المتأصلة.

سلك المترجم نجحاً يُقيي النص الهدف في رحاب ثقافة النص الأصلي ويثريه بعلامات ومقومات راهن إفريقي مشترك، ورسم لنا بذلك معالم ترجمة واعدة ينبغي أن تكثر في قارتنا الإفريقية وتتسع مداراتها لتشمل مختلف الآداب والفنون وما يبدهه الإنسان الإفريقي ويملاً به سجلات الفكر الإنساني.

5. قائمة المراجع:

1. إسماعيل، محمد، (21 ماي 2018)، "الشاعر والروائي والمترجم التونسي جمال الجلاصي للوطن: المترجمون

خيول تنوير ومهروبو أرواح"، في يومية الوطن، العدد 8296، الدوحة، دار الوطن للطباعة والنشر والتوزيع،

ص20.

2. برمان، أنطوان، (2010)، الترجمة والحرف أو مقام البعد، ترجمة وتقديم: عز الدين الخطابي، مراجعة: جورج

كتورة، ط1، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 208ص.

تمثيل الإفريقي وترجمته في رواية "إضراب الشحاذين" (La Grève des bàttu) لأميناتا سو فال (Aminata Sow Fall)

3. سو فال، أميناتا، (2011)، إضراب الشحاذين، ترجمة: جمال الجلاصي، ط1، القاهرة، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، 129ص.

4. عثمان، عثمان، (أكتوبر 2020)، "أميناتا سو فال.. روائية الأسئلة الجارحة"، في الناشر الأسبوعي، العدد 24، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، هيئة الشارقة للكتاب، ص102-105.

5. كوى، مويرا، شتلويرث، مارك، (2008)، معجم دراسات الترجمة، ترجمة: جمال الجزيري، إشراف: جابر عصفور، ط1، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 456ص.

6. ميدل إيست أونلاين، (2019/07/18)، الزنوجة تعني مجمل القيم الثقافية للعالم الأسود [الشابكة] ، <https://middle-east-online.com>، تاريخ التصفح: 2023/08/12.

7. نيدا، يوجين أ.، (1976)، نحو علم للترجمة، ترجمة: ماجد النجار، ط1، بغداد، مطبوعات وزارة الإعلام-الجمهورية العراقية، 504ص.

8. Ballard, Michel, (2005), «Les stratégies de traduction des désignateurs de référents culturels», dans La traduction, contact de langues et de cultures (1), Arras, France, Presses de l'université d'Artois, Pages 125-152
9. Durieux, Christine, (1998), «La traduction: transfert linguistique ou transfert culturel?», dans Revue des lettres et de traduction, N°4, Kaslik-Liban, Université Saint-Esprit, Faculté des Lettres, Pages 11-29
10. El Badaoui, Manal Ahmed, (2012), «Traduction de quelques faits culturels du français vers l'arabe: retour de l'original à son point d'origine», dans Revue Traduction, terminologie, rédaction (TTR), Volume 25, n° 1, 1er semestre, Québec, Canada, Association canadienne de traductologie, Pages 133-158
11. Hoffelt, Sophie, (2002), «L'adaptation à l'écran d'un roman d'Aminata Sow Fall: Bàttu de Cheick Oumar Sissoko», dans Notre Librairie, Revue des littératures du Sud, «Cinéma d'Afrique», n°149, octobre-décembre, Paris, Pages 28-33
12. Ladmiral, Jean-René, (1994), Traduire: théorèmes pour la traduction, Paris, Gallimard, 273 p.
13. Mammeri, Mouloud, (1991), «La littérature africaine francophone», dans Culture savante, culture vécue. Études 1938- 1989, Alger, Éditions Tala, 235 p.

14. Mpoyi-Buatu, Thomas, (1985), «Littératures D’Afrique», dans Livres 85, Paris, Le journal du Salon du livre de Paris, Pages 43- 48
15. Sartre, Jean Paul, (1985), «Orphée noir», dans Senghor, Léopold Sédar, Anthologie de la nouvelle poésie nègre et malgache de langue française, Paris, Presses Universitaires de France, 227 p.
16. Sow Fall, Aminata, (2001), La Grève des battu ou Les Déchets humains, Paris, Nouvelles éditions africaines, 1979, Paris: Éditions Le serpent à plumes, 167 p.
17. Tatilon, Claude, (2003), «Traduction: une perspective fonctionnaliste», dans La linguistique, vol. 39, fasc. 1, Paris, Éditions Presse Universitaire de France, Pages 109- 118.
18. Zabus, Chantal, (2018), Le palimpseste africain. Indigénisation de la langue dans le roman ouest-africain europhone, Traduit de l’anglais par Mathilde Labbé et Raphaëlle Théry, Paris, Éditions Karthala, 322 p.